

أسد ردفان.. راجح بن غالب لبوزة الشهيد الذي أشعل شرارة ثورة «14 أكتوبر» وصنع فجر الاستقلال

يتيماً نشأ هناك في منطقة «دبسان» يحمل على عاتقه هم أسرة تركها والده ورحل.. لم يكن يملك سوى قطعة أرض جرداء، عاش طفولته صراعاً مع الطبيعة القاسية ومعاناة بحثاً عن لقمة العيش فحمل على عاتقه ما كان كثيراً باجهاض حلمه مبكراً لولا قوة العزيمة والإرادة اللتان امتلكتهما، فزرع بهما بذرات توافقة إلى الحرية، والرغبة في استقلال وطنه وشعبه من المستعمر الغاصب.. لم يكن متعلماً وإنما كان أمياً يتدثر بالحكمة والرجولة والبطولة، ولم يكن مدنياً ولكنه كان قروياً يتسربل بالشجاعة، لا يعترف بلغة الخضوع، ولا يتحدث بمفردات المهانة، بل كان ثائراً لا يُشقق له غبار، شامخاً كجبال ردفان، حمل بندقيته فانطلق يرزأ كالأسد إلى جانب أخوانه يطارد الإلماة ويدافع عن الثورة والجمهورية، وهو شامخ كجبال ردفان، وبعد أن انتصرت الثورة والجمهورية عاد إلى بلده ليخاطب الاستعمار بلغة البندقية، فكان أول من قدم روحه قرباناً لثورة أشعل عود ثقابها من ردفان، فعمت نيرانها جميع أجزاء الوطن..



إنه الشهيد الشيخ راجح بن غالب لبوزة أول من أشعل ثورة 14 أكتوبر ضد الاستعمار البريطاني وأول من استشهد في حرب التحرير والاستقلال.

وُلد الشيخ راجح غالب لبوزة في ردفان محافظة لحج في وادي دبسان وله من الأخوة واحد فقط هو محمد غالب لبوزة.. توفي والدهما وهما في سن الطفولة حيث كفلتهما والدتهما، وترعاه في منطقة ردفان، تزوج الشهيد في العام 1914م وله من الأبناء أربعة أكبرهم بليل راجح الذي يعد من الطلائع الأولى لانطلاق أول شرارة لثورة 14 أكتوبر المجيدة، وكان مع أبيه في ذلك اليوم عند استشهاده.. مارس في حياته التجارة على ظهر جمل وكان يقوم باستيراد الحبوب وغيرها من

المواد الغذائية من إب وقعطبة والضالع ليتاجر بها في بلدته، بدأ الشهيد يحس أن بلاده محتلة من قبل الاستعمار البريطاني وأن عليه مقاومة هذا الاستعمار الفاشم فبدأ بتشكيل خلايا سرية من أبناء ردفان وأعدهم لمقارعتهم، ولكنها كانت أعمالاً غير منظمة إذ أنها شكلت بداية للانتفاضات الشعبية وكان بداية عمله المسلح في عام 1942م حيث كانت توجد ثكنة عسكرية لجيش شبرا التابعة للقوات البريطانية في منطقة ردفان في جبل الحمراء الحيلين، كان يقود أول مجموعة تهاجم هذا المركز وبالأسلحة الشخصية، وقد تم القضاء على هذا المركز نهائياً، وفي عام 1956م ذهب إلى السخنة ومعه مجموعة من أبناء ردفان حيث حصلوا على سلاح «زكي كرام» ألماني زودهم به الإمام أحمد ومن ثم عادوا إلى ردفان وكان لهم لقاء في منزل شيخ قبيلة «أل قطيب» في قرية التميمير الحيلين، وعندما وصلت الأخبار إلى الضابط السياسي البريطاني أمر بقصف المنزل بالطائرات «هوك هنتر»، فقاوم الثوار تلك الطائرات وتم إسقاط طائرتين مهاجمتين في العام 1957م.

وعند انتصار ثورة 26 سبتمبر 1962م وإعلان قيام الجمهورية وسقوط النظام الإمامي المستبد، عمل الشهيد لبوزة صلحاً بين قبائل ردفان، وذلك من أجل أن يتمكنوا من الذهاب إلى شمال الوطن للدفاع عن الثورة والجمهورية الوليدة، وانطلق لبوزة من مسقط رأسه من وادي دبسان حتى وصل منطلق «ذي ردم» حيث توجد قبيلتا الداعري والمحلتي المتقاتلتان فيما بينهما وعقد صلحاً فيما بينهما لمدة سنة، وكان يتواجد هناك سيف مقبل عبدالله وأبناؤه حيث ذهبوا معاً ومجموعة كبيرة من أبناء ردفان إلى قعطبة وكانوا حوالي «150» شخصاً، وتحركوا إلى إب ثم إلى الحديدة، وهناك سلمت لهم أسلحة شخصية وذخيرة، وكان الشهيد يتراس تلك المجموعة، وفي تعز كلف الشيخ سيف مقبل بمهمة استقبال المجاميع التي سوف تلحق بهم، فيما واصل الشهيد المسير من الحديدة إلى منطقتي عبس والمحابشة برفقة قائد لواء إب الشهيد أحمد الكبسي وكان في استقبالهم هناك قائد القوات المصرية المرابطة في المنطقتين وتم تمرير القوة التي كان يقودها الشهيد لبوزة في المحابشة في منطقتي الوعية والفتح الخاليتين من السكان ولا تتواجد فيهما إلا القوات المصرية، ظل الشهيد لبوزة، والشهيد أحمد الكبسي، وعبد المنعم رياض قائد القوات المصرية مرابطين في المحور ويتصدون لمجاميع أعداء الثورة، وحدث أن حاصرت تلك المجاميع أبناء ردفان والقوات المصرية لكن الشهيد لبوزة تحرك بمجموعة تتجاوز خمسين مقاتلاً، وفك الحصار عنهم، فكان أن استشهد عدد من مقاتلي ردفان في تلك المعركة، وبوجود الشهيد أحمد الكبسي برفقة الشهيد لبوزة طلب من القيادة في العاصمة صنعاء عودة مجموعة الشهيد لبوزة إلى صنعاء وذلك للالتقاء بالقيادة هناك والتشاور حول عودة المجموعة إلى ردفان وتفجير الثورة ضد الاستعمار البريطاني لتنتقل بذلك أول ثورة

وقد عقد اللقاء في وادي عقبة وجبال ردفان، وكان اللقاء عصراً حضره أكثر من 200 مقاتل وتم قراءة الرسالة المرسله من الضابط الإنجليزي على الحاضرين، فسألهم الشيخ لبوزة ما الذي تريدونه الاستسلام أم الرد والمواجهة؟ فاختار جميع من حضر اللقاء خيار الرد والمقاومة..

وعلى هذا الأساس خرج اللقاء بضرورة الرد على الإنجليزي فكانت الرسالة التالية:

إلى حضرة الضابط السياسي البريطاني.. وصلت رسالتكم الخاصة الموجهة إلينا بخصوص عودتنا من الجمهورية العربية اليمنية والتي تضمنت تسليم أسلحتنا وكل ما بحوزتنا من قنابل إضافة إلى غرامة خمسمائة شلن وضمانة بعدم عودتنا إلى اليمن وتسلم ذلك إلى حكومتنا حكومة الاتحاد..

نحن نعتبر حكومتنا هي الجمهورية العربية اليمنية وليس حكومتنا حكومة الاتحاد.. وغير مستعدين لكل ما هو في رسالتكم، ونعتبر حدودنا هي من الجبهة وما فوق وأي تحرك لكم من تجاوز حدودنا فنحن مستعدون لمواجهتكم بكل امكانياتنا وولاتوموا إلا أنفسكم.. والسلاح ختام.

الشيخ راجح بن غالب لبوزة عن مجموعة العاندين إلى ردفان من الجمهورية العربية اليمنية.

وتم ارسال الرسالة مظرفة وبداخلها طلقة نارية وعلى إثر ذلك تقدم الجيش الاتحادي والبريطاني إلى وادي المصراع حيث هجموا على شخص من مجموعة لبوزة أثناء عمله في الحصاد فأخذوا سلاحه وتم حجزه وأخذوه إلى الحيلين، وأثناء ذلك دعا الداعي إلى الشهيد لبوزة ومجموعته، وتحركوا ليلة 13 أكتوبر إلى جبل البدوي، ووزعت المجموعة على قمة الجبل وأسفله وكانت المواجهة يوم 14 أكتوبر في معركة استمرت حتى الساعة الثانية عشرة ظهرًا، استشهد فيها المناضل لبوزة جراء القصف المدفعي الشديد للعدو البريطاني، وتم دفنه بعدها في وادي عقبة وواصل من بعده أبناء ردفان وأبناء الجنوب مسيرة الكفاح المسلح في الريف والمدينة حتى تم اجلاء المستعمر البريطاني دون قيد أو شرط في يوم 30 نوفمبر المجيد 1967م.

كانت فكرة وضع الرصاص في المظروف من ابتكار الشهيد لبوزة، حيث قام فوراً وأخرج من حزامه طلقة رصاص زكي

كرام عليمان وأمر أحد زملائه بإيداع تلك الرصاصه داخل المظروف إلى جوار الردد.. وقال لقسام شائف.. قل لهم لا يوجد معنا إلا من هذا العيار..

أخذ قاسم شائف الرسالة وأوصلها إلى الضابط السياسي فقامت قيادة الإنجليزي وعملائهم..

بعد ذلك تحركت القوات البريطانية يوم 13 أكتوبر في وادي المصراع واخترقوا الوادي فاعتقلوا واحداً من زملاء الشهيد لبوزة وهو أحمد مقبل عبدالله وصادروا سلاحه واحتجزوه فتناقل المواطنون الخبر من شخص إلى شخص ومن قرية إلى قرية حتى وصل الخبر إلى الشيخ لبوزة الذي أمر الجميع بتجهيز أنفسهم للمواجهة.. حينها طلب منهم التحرك باتجاه وادي «ضرة» وحيد ردفان لإشعار الناس في تلك المناطق بما يجري على أن يكون اللقاء في رأس جبل «البدوي» في المساء وكان غرض لبوزة من جمع المقاتلين في رأس جبل البدوي الإعداد للقيام بمجموع على مركز القوات البريطانية في منطقة الحيلين رداً على اعتقالها للمواطن أحمد مقبل، وفي منتصف الليل بعد أن تجمع الثوار وفاق عددهم الـ 70 رجلاً أمرهم لبوزة بالتفرق على شكل مجاميع صغيرة حتى إذا جاء الصباح بدأت مجاميع أخرى تنضم إلى المجاميع الأولى فقام لبوزة بإعداد خطة قسم فيها الثوار إلى أربع مجموعات.. المجموعة الأولى كانت بقيادة نجله بليل راجح لبوزة وأولكت إليها مهمة النزول من رأس جبل البدوي والتمركز في القمط على يمين قرية البيضاء، بحيث تكون المواجهة الأولى للعدو أثناء عبوره وادي المصراع.

أما المجموعة الثانية فكانت بقيادة محسن مثنى حسين وكلفت بمهمة التمرکز في أسفل الجبل خلف المجموعة الأولى لحمايتها.

والمجموعة الثالثة كانت أكبر مجموعة وهذه بقيادة الشيخ راجح لبوزة نفسه وكانت مهمتها السير إلى غرب الجبل وتطويق العدو وعدم السماح له بالانسحاب.

أما المجموعة الرابعة فكانت بمثابة قوة احتياطية لحراسة المجموعتين الأولى والثانية من ناحية ولاستقبال الوافدين من الثوار من ناحية

أخرى.

بدأت المعركة بعد أن تحرك الجيش الإنجليزي مع الصفوف الأولى فاضلقت الثوار النار على مقدمة القوات وتصعدوا لها بقوة ولم يسمحوا لها بالانتشار وعندما شاهدت المجموعة الثالثة الاشتباكات مع القوات الإنجليزية قامت بإطلاق النار على مؤخرة الجيش البريطاني فلجأ الاستعمار البريطاني وعملاؤه إلى القصف المدفعي المكثف وكان التركيز مكثفاً على المجموعة الثالثة التي كان يقودها الشهيد لبوزة في أكمة «الضاجع» وكان الشهيد قد تقدم على مجموعته هو وشخص آخر اسمه سعيد حسين العنوب فيما رأى مقدمة القوات تراجع للورا، وفي الساعة الحادية عشرة ظهرًا أصيب موقع لبوزة بخمس طلقات مدفعية ثقيلة فأصابته منها شظية في الجانب الايمن تحت الربط اخترقت جسده حتى الجانب الايسر على موقع القلب في حين كان قابضاً على سلاحه يطلق النار على مؤخرة القوة..

حينها دعا الداعي أن الشيخ لبوزة قد استشهد مما جعل رفاقه يشعرون بالغضب الشديد.. استشهد لبوزة وكان عمره «46» سنة رحمه الله.

في اليوم الثاني لاستشهاده تم دفن جثمانه في قرية الذنب بمنطقة «عقبة» وكان قد حضر التشييع حشد جماهيري كبير جميعهم وقفوا على قبر الشهيد هناك ليعتاهدوا وبصوت واحد بمواصله الكفاح الذي بدأه الثوار بقيادة الشهيد راجح غالب لبوزة.

في يومها صدرت الجبهة الوطنية بياناً عن انطلاق الثورة من ردفان واعتبرت أن الشهيد لبوزة هو أول شهيد في ثورة 14 أكتوبر.. والتي استمرت أربع سنوات وامتدت معارك الكفاح المسلح كل أرجاء جنوب الوطن العالي بقيادة الجبهة القومية حتى تحقق فجر الاستقلال يوم 30 نوفمبر برحيل المستعمر البريطاني عن وطننا الغالي..

